© ٢٠١٥ مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص (٧-ب)، ديسمبر ٢٠١٥م، ص١٠٧-١٢٢

المنهج القرآني في تقويم جنوح الأطفال: وصايا لقمان أنموذجاً(*)

ره نكين عبد الله محمد[١] و **داتو ذو الكفل محمد يوسف**[٢]

ملخص

من يتابع الأحداث والوقائع التي نشهدها يلحظ أنّ الأطفال يعانون معاناة جديدة لم تألفها الأجيال السابقة بقدر ما ألفها الجيل المعاصر، فإنهم يمرون بسلوكيات غير مرغوب فيها، أرهقوا أنفسهم وأولياء أمورهم والبيئة المحيطة بهم من الجار والمدرسة والمجتمع ومراكز الشرطة والتحقيق وغيرها، وهذا ما اصطلح عليه في العرف القانوني بجُنَح الأطفال، وهو الميل العدواني عند هؤلاء في صدد التعامل مع البيئة بجميع عناصره البشرية والمادية، وعليه فإنّ هذه الدراسة هدفت إلى تسليط الضوء على معالجات وحلول القرآن الكريم لهذه السلوكيات غير المرغوب فيها، وذلك باعتماد المنهج الاستقرائي التحليلي الاستنباطي، وخلصت الدراسة إلى نتائج منها: أنّ من أهم الأسباب المؤثرة في جنوح الأطفال تركُ التوجيه اللازم لهم، والتفكك الأسري والصراعات المحتدمة بين والديهم، وعدم وجود قدوة فعلية صالحة أمامه يجسد له المعاني القيمية. هذا، ويؤمل من هذه الدراسة أن تفتح على الباحثين حقولاً وآفاقاً بحثية قرآنية مستقبلية في معالجة هذه السلوكيات (الجنوح) كل سلوك منها على وجه الاستقلال، ومقارنة هذه المعالجات بغيرها في مجال العلوم الإنسانية..

كلمات دالّة: جنوح الأطفال، سلوكيات غير مرغوب فيها، سورة لقمان، تربية وتعليم.

---

* How to cite this article: Rangen A. Muhammad & Zulkifli @ M. Y. (2015). "al-Manhaj al-Qur'āni fī Taqwīm Junūḥ al-atfāl: Waṣāyā Luqmān Unmūzajan", QURANICA Special Issue 7b, (2): 107-122.

[١] طالبة دكتوراه، قسم الدراسات القرآنية –جامعة ملايا.

[٢] أستاذ التفسير وعلوم القرآن بأكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا، حيث جرى إعداد هذه الدراسة تحت إشرافه.

١ مقدمة

تعرض القرآن الكريم لهجمات عدوانية قديماً وحديثاً من قبل مناوئين له، ولا شكّ أنَّ السبب وراء هذا الاعتداء هو ما احتواه من حقائق وأحكام ومعتقدات وأخلاقيات تتعارض مع ما عليه هؤلاء، فسلكوا لصده طرقاً عدة، وما زال يبتكرون وسائل شتى للقضاء عليه، أو لتخفيف تأثيره كأقلِّ ما يمكن فعله، وعليه فإنّ تناول ورصد ما اشتمل عليه هذا القرآن وتحليله ومقارنته بغيره، هو بذاته يقع في دائرة الدفاع عنه.

هذا ومن يتابع الأحداث والوقائع يلحظ أنّ الأطفال يعانون معاناة جديدة لم تألفها الأجيال السابقة بقدر ما ألفها الجيل المعاصر، فإنهم يمرون بسلوكيات غير مرغوب فيها، أرهقوا أنفسهم وأولياء أمورهم، والبيئة المحيطة بهم من الجار والمدرسة والمجتمع، ومراكز الشرطة والتحقيق وغيرها، وهذا ما اصطلح عليه في العرف القانوني بجُنَح الأطفال، وهو الميل العدواني عند هؤلاء في صدد التعامل مع البيئة بجميع عناصره البشرية والمادية، وعليه جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على معالجات القرآن الكريم لهذه الإشكالية.

٢ سلوكيات غير مرغوب فيها لدى الأطفال

إذا كانت الجريمة في السابق يقوم بها الكبار والدول وبعض المنظمات والجماعات؛ فإنّ هذه الجرائم لم تبق منحسرة في أولئك، بل بدأت تنتقل إلى جيل لم يكن في حسبان أحد أن تنتقل إليهم، وهذا الجيل يوصفون بالبراءة، ولكنّ بعضهم تخلوا عن براءتهم، وبدؤوا بممارسة سلوكيات منحرفة، إلى أن وصل الأمر عند بعضهم ذروته. ولا تقول الباحثة بأنّ الطفل في العصور الغابرة لم يكن يرتكب مخالفات، لأنّ ذلك يتعارض مع الوقائع التاريخية، بل بالإمكان القول إنّ قوة تلك المخالفات والسلوكيات السلبية لم تكن بهذه الدرجة، كما أنَّ حجمها لم يكن كبيراً قياساً بما وصل إليه الحال في عصرنا الحاضر، الأمر الذي بدأ يتصاعد ويرتفع ويكاد يشكل ظاهرة اجتماعية[١].

[١] الجندي، محمد الشحات عبد الحميد. (١٩٩٦). **جرائم الأحداث في الشريعة الإسلامية مقارنة بقانون الأحداث**. القاهرة: دار النهضة العربية، ط٢.

وخطورة الموضوع تأتي من حيث إنَّ الطفل في المجتمعات الإسلامية يشكل نسبة كبيرة من أفراد المجتمع، ففي بعض المجتمعات تقترب نسبتهم من (٥٠%) من إجمالي السكان[١]، وثمة دراسات أجريت على مجرمين كبار ارتكبوا جرائم، وقد أثبتت تلك الدراسات أنّ الغالبية العظمى من هؤلاء المجرمين البالغين كانوا يمارسون الإجرام في فترة حداثتهم، أي كان لهم خبرة جنائية في مرحلة الطفولة التي مروا بها[٢].

ويمكن رصد بعض هذه السلوكيات غير المرغوب فيها ومنها: جريمة القتل والسرقة[٣]، وأعمال منافية للأخلاق والآداب العامة، مثل الجرائم الجنسية، والتحرش بالقول أو بالفعل، والمشاجرة والسب والشتم، والاعتداء بالضرب، وشرب الخمر وتوزيع المخدرات وتعاطيها، والتدخين، والاعتداء على الممتلكات العامة وتخريبها، والهروب من المنزل، أو من المدرسة، والإساءة إلى الوالدين، والمعلم والجار، وتقمص شخصيات ساقطة اجتماعياً، وغير ذلك الكثير.

٣ أسباب سلوكيات غير مرغوب فيها لدى الأطفال

السلوكيات غير المرغوب فيها شرعاً سلوكيات تخالف الفطرة، وتخالف الآداب العامة والذوق السليم؛ لذلك فإنَّ القائم بها يقوم بها خفية، ويكره أن يطلع عليها الناس، فمثلاً السرقة، فهي عمل مناف للفطرة، ومتعارض مع الآداب العامة. والذي ينبغي الوقوف عنده هو أنَّ هذا التصرف أو السلوك غير المرغوب فيه لابدَّ أن يكون وراءه سبب، ضرورة أنّ الصغار لا يولدون منحرفين، وسلوكهم غير المرغوب فيها ناجم عن مجموعة مركبة ومتداخلة من الظروف والعوامل ومتغيرات ذاتية وأسرية واجتماعية ساهمت في تشكيل هذا السلوك، وفيما يأتي الحديث المختصر (مراعاة لطبيعة البحث) عن بعض تلك الأسباب التي رصدتها تلك الدراسات المختصة بالموضوع، ومن أهمها: ترك التوجيه اللازم لهم والتفكك الأسري، وتدني مستوى الوعي الديني (ضعف الوازع الديني) والبيئة الاجتماعية، فالطفل يولد على الفطرة السليم، فإنّ أبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه فقد صدق رسول الله (ﷺ) حينما قال: "ما من مولودٍ إلاّ يولَدُ على الفِطرَةِ،

---

[١] ينظر: ريان، وفاء كمال. (٢٠٠٩-٢٠١٠). **العوامل الاجتماعية وأثرها في جنوح الأحداث**، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بغزة.

[٢] وهدان، أحمد محمد يوسف. (١٩٩١). **الحماية الجنائية للأحداث: دراسة في الاتجاهات الحديثة للسياسة الجنائية**. رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الحقوق ، ص١٤.

[٣] الحافري، شيخة خلفان. (١٤٣٠/٢٠٠٩). **جرائم الأحداث الجانحين والمشردين وسبل معالجتها في الفقه الإسلامي**. رسالة ماجستير مطبوعة مقدمة إلى كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، ص ١٣٠.

فأبواه يُهَوِّدانِه، أو يُنَصِّرانِه، أو يُمَجِّسانِه"[١]. ونظرة متأنية إلى الواقع تؤكد أنّ الطفل المنحرف غالباً ما يكون ضحية وسط اجتماعي فاسد نشأ فيه، ذلك لأنّ الأطفال أكثر انجذاباً إلى التقليد والمحاكاة، فحينما يرى الطفل أباه يشرب السجارة أمام عينيه كلّ يوم، أو يشرب الخمر والمخدرات، أو يشتم ويسب الآخرين؛ فإنه يحاول أن يختبر هذه التجربة التي يكررها الوالد، فيبدأ بمحاكاته، ويصعب عليه بعد ذلك التخلص منها[٢]، وجماعة الأصدقاء والرفاق، فإنّ الإنسان مدني بطبعه، فهو يعيش مع غيره، ولا يستطيع العيش منفرداً معزولاً، ومن عاش معزولاً فهو إنسان انطوائي، وبما أنّ الإنسان يحتك بالناس، فيتخذ منهم أصحاباً وأصدقاء، وهؤلاء الأصدقاء يتأثر بعضهم ببعض، ذلك لأنَّ الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري، وأثبتت الدراسات أنَّ ما يبنيه الوالدان في سنوات طويلة مع ولدهم من أخلاق وسلوك إيجابيين يهدمها الصديق السوء خلال ساعات، والمدرسة حاضنة جاهزة لاتخاذ الصديق، فإنّ الطفل يحتك بهذا الطفل غالب الأيام لساعات طويلة، وهناك فرصة مواتية لتبادل الحديث ولتبادل السلوك، والصديق يمكنه أن يغير صديقه من السيء إلى الحسن، وبالعكس، فيمكنه أن يغيره من الصالح إلى الطالح، وينمي فيه شهية العنف والسلوك غير المرغوب فيه[٣]، ووسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، فإن أطفالنا مغرمون بما تعرضه هذه الوسائل من أفلام ودعايات وسلوكيات غريبة وغير متناغمة مع تعاليم ديننا الحنيف، ومع الآداب العامة واللياقة واللباقة الأدبية.[٤]

٤ معالجات قرآنية لسلوكيات غير مرغوب فيها لدى الأطفال

---

[١] البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٠٠هـ). صحيح البخاري. تحقيق:محب الدين الخطيب. القاهرة: المكتبة السلفية، ط١. رقم الحديث: ١٣٥٩، فقد دلَّ هذا الحديث على أنَّ الأصل في كلّ مولود أنّه يولد مسلماً، وأن التهود، أو التنصر، أو التمجس؛ أمر طارئ على أصل الفطرة.

[٢] زهري، تماضر. **جرائم الأحداث الذكور**، مصدر سابق، ص١٣٣، تشير الدراسة إلى خلفية هؤلاء الأطفال المنحرفين، وتبين أنّ ٤٣,٨% من أسرهم قد ابتليت بانحراف الأب، و٤٢% منهم انحرف أحد إخوانه، أو أكثر، وأنّ ١٣% منهم قد انحرفت الأم.

[٣] فالجرائم الأخلاقية التي ارتكبها بعض الأطفال إنما ارتكبوها مع أصحابهم. ينظر في ذلك: خلفان، شيخة. **جرائم الأحداث الجانحين**، مصدر سابق، ص ١٢٨-١٣٤.

[٤] ينظر: زهري، تماضر. **جرائم الأحداث**، مصدر سابق.

إذا أردنا أن نبحث عن سفينة النجاة من هذه السلوكيات غير المرغوب فيها، فعلينا أن نبحث عن المدخل الصحيح لهذه المعالجات، وهذا القرآن الكريم يقول لنا: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ (البقرة: ١٨٩). وإلاّ ابتعدنا عن الوصول إلى الأهداف، فأين المدخل الصحيح، ومن أين نبدأ؟ ولقد كفانا الإمام مالك ابن أنس إمام دار الهجرة (ت ١٧٩هـ): بقوله الموجز المفيد: "فلن يصلح آخر هذه الأمة إلاّ بما صلح به أولها"، وعليه فهذا هو العلاج، وكيف لا، وقد رأينا كيف غيَّر القرآن الكريم التاريخ والأفهام وبيَّن حقائق الأمور، وصنع جيلاً فريداً، جيلاً كان يأكل القوي منهم الضعيف، فتحولوا بسبب هذا القرآن إلى جيل مدافع عن المظلوم والمستضعفين، جيلاً كان يتباهى بالمنكر، فأصبح مستهجناً للمنكر، بل تغيير المنكر ونبذه أضحى صفةً لازمة له ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾ (آل عمران:١١٠)، فكان القرآن الكريم دواءً ناجعاً لكل الأدواء النفسية والاجتماعية والتشريعية والسلوكية المستشرية في تلك المجتمعات وغيرها المستحدثة في المجتمعات البشرية المعاصرة.

والإطار العام لمعالجة هذه السلوكيات غير المرغوب فيها هو القرآن الكريم، وأنّه يعالج تلك القضايا بأحسن صورة، وبأقرب طريق، وبأقل تكلفة ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٩).

وإذا حدثت للمسلم مشكلة نفسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو أسرية، أو تربوية سلوكية، قلما تجده تهرع إلى معالجتها في القرآن الكريم، وإنما يبحث عن العلاج خارج القرآن الكريم، فيستمع إلى ما قاله علماء الغرب، ويطمئن إلى نظرياتهم ومقولاتهم، وفي الوقت نفسه هو يملك الأجوبة الشافية والكافية لتلك القضايا ولغيرها، لو أمعن النظر في كتاب الله المعجز، وهكذا الإنسان لا يقرأ السطور القريبة من عينيه. بينما آخرون منصفون من غير المسلمين يكتشفون حقائق هذا الكتاب العظيم، ويلجئون إلى نصوصه المباركة، فهذا العالم اليهودي في مجال علم النفس والعلاج النفسي عوفر جروزبارد، الحاصل على الدكتوراه من جامعة "جورج ميسون" في ولاية "فيرجينيا" بالولايات المتحدة الأمريكية، بعد خمس سنوات من الدراسة الميدانية على أكثر من خمسة آلاف طالب وطالبة تصل إلى نتائج منها: أنَّ القرآن يحوي الكثير من النصوص التربوية، ويركز بشكل رائع على العلاقات بين البشر، وبين الأم وابنها، وبين الجيران وبين الخصوم، وأنَّ العديد من التحليلات النفسية الحديثة تتلاءم مع نصوص قرآنية كثيرة موجودة منذ

مئات السنين أي قبل الاشتغال بها في علم النفس الحديث، وأنّ الآيات القرآنية تبذل طاقات كبيرة لتحسين مكانة الإنسان وانخراطه في المجتمع الذي ينشط به لتطوير وتقدم الإنسانية.

وأخيراً يعترف بحقيقة علمية وهي: أنَّ النبي محمداً (ﷺ) نجح في إحداث ترتيب في الشرق الأوسط، وفي دفع الملايين، ووضعهم فى مقدّمة التاريخ، وأنَّه كان مليئاً بالحنان والرحمة والحكمة، وكان قديراً في تركيز القيم التي غرسها فى العرب والمسلمين وفي العالم كله من خلال بث الرحمة في العلاقات بين الأفراد، وهو أمر لا يمكن أن نجده، على سبيل المثال، في التوراة[١].

ومعلوم أنَّ رسولنا الكريم صاحب الخلق العظيم كان خلقه القرآن[٢]، فما أحوجنا اليوم إلى عودة صادقة إلى القرآن الكريم، وهو الحل الناجع لكل مشكلة، والمخرج السليم من كل معضلة، يقول سيد قطب: "إن الإسلام منهاج حياة كامل، فهو ينظم حياة الإنسام في كل أطوارها ومراحلها، وفي كل علاقاتها وارتباطاتها، وفي كل حركاتها وسكناتها، ومن ثم يتولى بيان الآداب اليومية الصغيرة كما يتولى بيان التكاليف العامة الكبيرة، وينسق بينها جميعاً، ويتجه إلى الله في النهاية"[٣].

فالتربية القرآنية أمر مطلوب، ولذلك نرى اهتمام القرآن بها، الاهتمام بالتربية العقدية، والتربية السلوكية، والتربية الاجتماعية، ثم التربية التشريعية (الآيات المتعلقة بالأحكام)، وهناك كثيرون من ألفوا عن تربية الأطفال ورعايتهم وتحصينهم وإعدادهم للمستقبل، ولكنّ تلك الدراسات لم يكن لها طابع الشمول والعموم، بمعنى أنها عالجت جوانب وغفل عن أخرى، أو درست ما ظهر على السطح، وغفلت عن أعماق وجذور الإشكال، أو قدمت معالجات تصلح لبيئة معينة دون كل البيئات، أو أنها لا تحكم على بعض السلوكيات بأنها غير المرغوب فيها، لأنها تنطلق من منطلق علماني، أو بعضها ينطلق من منطلق مناف للسلوك والآداب العامة. ونحن حينما نتحدث عن أطفالنا نتكلم على أطفالنا وهم من أبناء المسلمين، وعليه فلا بد أن نربيهم وفق تعاليم ديننا، فما يراه الكتاب والسنة من الأمور غير المرغوب فيها، نعدها غير المرغوب، وما استحسناه نستحسنه.

---

[١] ينظر: جريدة "اليوم السابع" الإليكترونية بتاريخ الخميس ٠٥-٠٢-٢٠١٥، http://www.youm7.com/story

[٢] الألباني، محمد ناصر الدين. (١٤١٤هـ). **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**. دار الصديق. ط١. ص ٢٣٤، خلاصة حكم المحدث: صحيح لغيره.

[٣] سيد قطب. (٢٠٠١). **في ظلال القرآن**. القاهرة: دار الشروق، ط ٣٠. ٤/٢٥٣١.

هذا وأنَّ تربية الأطفال على هدي الكتاب وهم في عمر إذا نصحوا ووجهوا التوجيه السليم؛ جاءت تربيتهم بثمراتها الطيبة، يقول الإمام الغزالي: "واعلم أنَّ الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسه ساذجة خالية عن كل نقش وصوره، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه ، فإن عود الخير، وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر، وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له"[١]، وفي تأكيد هذا المعنى قال بعضهم[٢]:

إنَّ الغصون إذا قوَّمْتَها اعتدلت ولا يلين إذا قومته الخشب

وينفع الأدب الأحداث في صغر وليس ينفع عند الشيبة الأدب

فعلى الوالدين ترتيب وعقد جلسات عائلية يومية، أو أسبوعية على الأقل، يجلس فيها أفراد الأسرة، ويتجول فيها الوالد والوالدة مع أولادهم بحدائق القرآن الكريم المتنوعة، ويتغذون من ثمارها اليانعة، ولا يسمح لنا المقام بالتجوال في هذه الحدائق إلاّ لمدة وجيزة، أقف عندها لعرض آيات قرآنية تنير لنا الطريق في تربية أطفالنا، وتحصينهم بها، كي يتم إبعادهم من السلوكيات غير المرغوب فيها، ومن تلك الآيات:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الْأِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان:١٢حتى نهاية الآية: ١٩).

وقبل الخوض في شرح هذه الآيات لابد من الإشارة إلى أنّ لقمان الحكيم قد خصص وقتاً لتعليم ونصح ولده، وفي هذا الصدد يقول الشيخ القرداغي: "قوله تعالى: (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه) يدل على ضرورة أن يجلس الأب مع ابنه دائماً، أو كثيراً للوعظ والتوجيه والتربية، ذلك أنَّ جملة (وهو يعظه) جملية اسمية تدل على الثبوت والدوام والاستقرار، وهي جملة حالية عن (لقمان) الوالد. ومن جانب آخر أنَّ الطريق إلى التربية والتوجيه والتقويم يمُّر عبر الوعظ ووسائل الترغيب، والحكمة، والثواب والعقاب، والتعبير القرآني يدل على إعطاء أولوية كبيرة للجلوس مع الأولاد ذكوراً وإناثاً للوعظ والنُصح والتربية، فهي

---

[١] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (٢٠٠٢). **إحياء علوم الدين**. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١. ٩٩/٣.

[٢] الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري. (١٩٨٦). **أدب الدنيا والدين**. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. المنصورة: مكتبة الإيمان. ط١. ص٢٣٩.

مهمة ليست سهلة، وهي تستحق كل العناية والاهتمام، لأنها تتعلق ببناء الإنسان، وبناء الجيل القادم، وبناء القيادة للأمة"[١].

وهذا ما تفتقر إليه الأسرة المعاصرة، فالوالد يخرج لعمله، ويعود مرهقاً، وله ارتباطاته هنا وهناك، فلا تجد له وقتاً يقضيه مع أولاده، والوالدة أيضاً تخرج للعمل، وتعود إلى البيت في وقت متأخر، وهي مرهقة، فلا قدرة لها بعد ذلك كي تستمع إلى أولادها، وتسمع مشاكلهم، وتتأكد من علاقاتهم، وما تعلموها من المدرسة ومن الأصدقاء، وقد يُترك الطفل لتربية الخادمة، وغير ذلك من الأمور التي تُعرض الأطفال للبحث عن خيارات أخرى، قد تكون خاطئة، البحث عن صديق يملأ له الفراغ، ويمنحه فرصة الاستماع إليه، ومن هنا قد يتسلل الانحراف السلوكي.

النصيحة الأولى: ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، إذاً الدرس الأول المهم هو توحيد الله تعالى في ألوهيته، وترسيخ العقيدة الصحيحة هو البناء الصحيح والسليم للطفل، والطفل بفطرته يعلم بأن هناك رباً وخالقاً، ولكن قد لا يعرف أنه واحد، وينبغي أن لا يسوق الوالد المعلومات سوقاً، وإنما يبين له السبب، فيبين له أنَّ الشرك ظلم لحق الخالق، وظلم في قلب الحقائق، وظلم للشخص فيحيره ويضله، والحديث عن الله تعالى في غاية من الأهمية، وزرع محبة الله تعالى في قلوبهم، وكذلك بيان صفاته، من البصير والسميع والعليم وغيرها من الصفات، كل ذلك يجعل الطفل في حالة مراقبة ذاتية، فلا يعمل ما لا يحبه الله، لأنه يعلم أنه سبحانه وتعالى يراه وسوف يحاسبه، وأنه سيخسر حبه له. والناظر في بداية وصيته يراه أنه اختار الألفاظ الراقية الحنونة اللطيفة في مفاتحة ابنه، فخاطبه بكلمة "يا بني"، وعليه لا بد من انتقاء اللألفاظ السليمة والراقية والمحببة والمشوقة ونحن نخاطب أطفالنا، وكذلك الحال بالنسبة للمعلم مع طلابه، فإنَّ للكلمة الطيبة أثرها الطيب، والمثمر، وأنها باقية في القلب، وعلينا وعلى المربين الابتعاد عن استعمال الألفاظ الجارحة، ونتفنن في استخدام الألفاظ الجميلة واللطيفة.

ومع الأسف الشديد قد كثر استعمال هذه الألفاظ النابية والجارحة من لدن الوالدين ومن لدن المعلمين، ولا شك أنّ الطفل سيستخدمها في علاقاتها مع الآخرين.

---

[١] القرداغي، علي محيي الدين . **دروس تربوية من خلال وصايا لقمان الحكيم**، جريدة الشرق الأوسط، جريدة العرب الدولية، **السبت ٠٢ رجب ١٤٢٤ هـ ٣٠ اغسطس ٢٠٠٣، العدد ٩٠٤١.**

النصيحة الثانية:﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرِ﴾، التربية على تعظيم حقوق الوالدين على الطفل، تعليمهم وتعريفهم بحقوق الآخرين، وأنَّ الإنسان لابدّ أن يحسن إلى من أحسن إليه، هذه هي الثقافة الحقة، وتعليمهم بأنَّ الحياة ليست عبارة عن حقوق للطفل، وإنما حقوق له، وواجبات عليه، واجبات تجاه الله تعالى، وواجبات تجاه الوالدين، فإنّ المحسن إليه يستحق منك الشكر، فيجب شكر الله، ويجب شكر الوالدين، تعليمه على أنّ من أحسن إليه يشكره، مهما كان حجم ما قدم له، فمن قدم لك ماء، فعليك بشكره، وحينما يتعلم الطفل أن يشكر هؤلاء فيصبح اجتماعياً، ومحبوباً عند الآخرين، فيبادرون بالإحسان إليه دوماً، فكلمة الشكر، وإشعار الطفل بفضل الآخرين عليه يفتح بوجهه أبواب خير كثيرة لا تنتهي.

وساعة يتربى الطفل على وجوب تقدير الوالدين ومعرفة مقامهما، فيغدو لهما طائعاً وبارّاً، ويتحول إلى زينة الحياة الدنيا ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(الكهف: ٤٦)، فيسعدهما، ويسعد نفسه، وآخرين. فإذا تعلم هذه الثقافة وهو في مرحلة الصغر، فلا يعدل عن برهما، فلا يتحول إلى أذى، ولا يتحول إلى آلة تدمر حياتهما، ويحولها إلى الضنك.

النصيحة الثالثة: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾، توجيهه إلى اتباع طريق أهل الصلاح والخير، فأينما كان الخير وأهله فهناك المسلم، وأينما كان الشر وأهله فتجد المسلم بعيداً عنه، وفي هذا تعليم الأطفال بأن الخير والصلاح لا ينقطعان، وأنهما ليسا محصورين في شخص واحد، وعليه فلا بد من تكوين علاقات اجتماعية سليمة مع أولئك الخيرين، والابتعاد عن غيرهم من أهل الشر.

النصيحة الرابعة: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾، تعليم الأطفال وتعريفهم بصفات الله تعالى، ومنها أنه سبحانه وتعالى يسمع ويرى مهما كان حجم الشيء صغيراً، أو دقيقاً، فلا تخفى عليه خافية، فتعين مراقبته في كل الأحوال، وفي كل الظروف، في السر والعلن، وفي الليل والنهار، وترسيخ هذه العقيدة يحفظ الطفل من الوقوع في المهلكات، فإنّ الوالدين ليس بإمكانهما أن يراقبا الطفل في كل وقت، فإذا راقباه في البيت فكيف يراقبانه في المدرسة، وكيف يراقبانه مع أصحابه، وكيف يراقبان ما يدور بينهم، ولذلك فإنَّ الله تعالى هو خير رقيب، وتفويض أمر إليه هو خير ضمان، وهكذا للقرآن الكريم دور بارز في تحصين سلوكيات الأطفال وحركاتهم وعلاقاتهم.

ولا يكفي منع الأطفال من مشاهدة القنوات الفضائية الهابطة، بل لا بدَّ من تحصينهم، لأنك إذا منعته اليوم، فسيأتي يوم آخر وهم بعيدون عن رقابتك، وتسنح لهم فرصة المشاهدة، وهذا ما فعله سيدنا يعقوب مع يوسف عليهما السلام حينما رباه على مخافة الله، والابتعاد عن الرذائل، وجاءته فرصة ممارسة الرذيلة في قصر سيده، ولكنه رفضها لاستشعاره بأنّ الله تعالى يراقبه ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف:٢٣).

النصيحة الخامسة: ﴿يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ﴾، تدريبهم على إقامة الصلاة، هذا الرابط القوي بينه وبين الله، إنشاء علاقة مباشرة مع الله، فيكون الطفل قوياً، لأنه يستمد قوته من الله، ويستعين به، ويعبده وحده، فلا يخاف غيره، ولا يخضع للتهديدات، في اليوم والليلة يقف أمام الله تعالى على الأقل خمس مرات، وهذه العلاقة المتواصلة اليومية ولمرات عديدة تحفظ الطفل من الانحراف، وأنّ الصلاة تكون مانعة له من الوقوع في منكر الأقوال ومنكر التصرفات ﴿وأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ (سورة العنكبوت: ٤٥).

النصيحة السادسة: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، تدريب للطفل على الانتقال إلى الآخر، والإحساس بالمسؤولية، ولا يعيش لنفسه، يجب أن يكون عنصراً نافعاً لمجتمعه، فحينما يرى معروفاً يتهاون الناس في صناعته، فلا يقبل ذلك وهو ساكت، بل يشجعهم على الفعل، لأنّ تأخير الفعل الإيجابي النافع يؤخر المجتمع، ويؤخر الحياة، وإذا ترك المعروف فسيكون هناك فراغ، وهذا الفراغ سيملأ، فإن لم يملأ بالمعروف مُليء بالباطل، والباطل فساد، والفساد إذا انتشر تضرر الجميع، وكذلك إذا رأى منكراً كأن رأى أحداً يرمي الأوساخ في الشارع فلا يسكت، وإنما يقوم ببيان سلبيات ذلك العمل لمن قام به، وبهذا يتعلم الطفل أن يكون في موقع المرشد للناس، وفي موقع قيادة الناس، ومن تصدر لهذا الموقع فلا يقبل بعد ذلك النزول إلى الحضيض، وهذا الموقف بحد ذاته يربي طفلاً جرئياً. ومن جهة أخرى فإن الطفل لا يستطيع القيام بالأمر بالمعروف إن لم يتعلم قاعدة المعروف، متى يكون القول، أو الفعل معروفاً، وكذلك عليه أن يتعلم قواعد المنكر، ومعاييره، وإذا تعلم ذلك تعلم التمييز بين الصحيح والخطأ، وبين الحق والباطل، وبين النافع والضار، ومشكلة من مشاكل الناس أنهم يخلطون بين النافع والضار، والصواب والخطأ.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاعدة سلوكية تسري في المعروف والمنكر في كل المجالات، في المجال السياسي والاجتماعي، والاقتصادي والتربوي، والتربية الحديثة المعتمدة على ما عند الغرب، تربية أنانية، تحاول أن يترك الفاسد مع فساده، وذلك بحجة أنّ ذلك الفساد بما أنه لا يعنيه مباشرة، فلا حاجة إلى منعه وإيقافه، وقد سادت بينهم مقولة: "هذا ليس شأني" (*This is not my problem*).

النصيحة السابعة: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، تدريب الأطفال على قوانين الحياة، ومنها أنَّ الحياة ليست عبارة عن اليسر فقط، وإنما عسر ويسر، وفقر وغنى، وصحة ومرض، ويأتي أحد إلى الحياة، وآخر يغادرها، فما يفرحك فعليك بالشكر، وما يحزنك فعليك بالصبر، وعدم الانفعال، ولو صور الوالدان الحياة لأطفالهم بهذه الصورة من البداية لتعاملوا مع مصائبها بتوازن نفسي، وهناك آية أخرى لو تمت تلاوتها وشرحها لأطفالنا، لأصبحوا أكثر احتفاظاً بتوازنهم وانفعالاتهم، (البقرة: ١٥٥-١٥٧). وإذا قام الوالدان، أو المدرسة، أو البيئة الاجتماعية بتربية الجيل الصاعد على توقع الخشونة في الحياة، والاستعداد لها، ونصحوهم بالتعامل معها وفق القواعد العامة والمبادئ الكلية الواردة في القرآن الكريم، لو قاموا بذلك لأبعدوهم عن الصدمات والمفاجآت التي يفقد الإنسان فيها توازنه، فحينما يتربى الطفل على أنّ الحياة لا تخلو من الخشونة، وتم تدعيم ذلك بقصص حقيقية من حياة الأنبياء والرسل عليهم السلام الواردة في القرآن والسنة النبوية الشريفة فلا يتفاجأ عندها الطفل، ولا يصطدم، ولا يرتكب الخطأ.

النصيحة الثامنة: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: هذا درس آخر في الاهتمام بالجانب الاجتماعي، وأصول التواصل الاجتماعي، فإنّ الإنسان مدني بالطبع، يحتاج إلى التواصل مع الآخرين، ومن الضروري أن يدرب الطفل في البيت، وفي المدرسة على الآداب العامة في التواصل، وفي العلاقات، وبما أنّ الإنسان كلهم سواسية عند الله، فلا يجوز أن يستعلي بعضهم على بعض، ومن آداب التواصل مع الآخر عدم الإعراض عنه، وهو يتكلم معك، أو إعراضك عنه بوجهك أو بجسدك وأنت تخاطبه، بل تقابله بوجهك وبجسدك احتراماً له وتقديراً، وهذا سينعكس عليك إيجابياً، فكيفما تتعامل مع الآخر، يتعاملون معك، فهذه الآداب العامة لا بدّ أن يتدرب عليها وهو صغير، فإذا تعلمها فلا ينساها، ويعيش ناجحاً في علاقاته مع الآخرين.

النصيحة التاسعة: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُور وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾، وهذا هو أدب آخر من الآداب العامة الضرورية، وهو ترك التكبر والتجبر والغرور على الأرض، ذلك لأنّ الله لا يحب المتكبرين الفخورين، الذين لا يرون الناس في مستواهم الاقتصادي أو الاجتماعي، أو السياسي، أو الجغرافي، والتكبر على الخلق سبب من أسباب الاعتداء عليهم، فحينما تؤذي أحداً فمعنى ذلك أنك لا تراه في مستواك، وبدلاً من ذلك يتوجب زرع التواضع فيهم، وهو سر دوام الحياة البعيدة عن المشاكل والحروب.

وكذلك التوسط في المشي، فلا تسرع بحيث تفقد توازنك، ولا تسوق السيارة بالسرعة الزائدة غير المسوح بها فتعرض حياتك وحياة الآخرين للخطورة، فالسرعة غير الاعتيادية أمر مذموم، وكذلك المشي البطيء، فإنه يؤخرك، ويعطل الآخرين، فالوسطية هي التربية السليمة الإسلامية ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ (البقرة:١٤٣)، وقد رأينا الافتخار بين الأطفال في مدارسهم هذا من الجنسية الفلانية، والآخر من الجنسية الفلانية، وهذا عنده الجهاز الفلاني، وهذا لا يملك ذلك الجهاز، والافتخار بهذه الأمور أدت إلى رفع أصوات بعضهم على بعض، وفي كثير من الأحيان لم ينته الأمر عند رفع الصوت، بل خرج عن السيطرة إلى التشابك والتضارب.

النصيحة العاشرة: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾، أدب آخر وهو عدم رفع الصوت إلاّ بقدر الحاجة، لئلا يتأذى السامع، مشبهاً رفع الصوت فوق الحاجة بصوت الحمير الذي يعد أقبح الأصوات لكونه مرتفعاً، فإذا تعلم الطفل أن لا يؤذي الآخر، ولا يزعجه بصوته، فيتعلم أنّ إيذاء الإنسان بكل شيء مهما كان حجمه ونوعه، هو أمر غير مسوح به، وإذا تدرب على ذلك وهو طفل، فسيستمر عليه وهو كبير، وبهذا استطعنا أن نقدم عنصراً نافعاً للمجتمع.

وفي هذا الصدد يقول الشيخ القرداغي: "استعمال الأشياء المفهومة والألفاظ الواضحة، وبعبارة أخرى أن يكون خطابهم باللغة التي يفهمونها هم وليس بلغة الكبار، وهذا ما فعله سيدنا لقمان في وعظه لابنه حينما تحدث عن الأصوات المرتفعة الكريهة شبهها بأصوات الحمير، وذلك لأن أصوات الحمير مفهومة جداً للأطفال وكريهة كذلك ومزعجة، فاستعمل وسيلة التقبيح المفهومة لديهم"[١].

[١] القرداغي. **دروس تربوية من خلال وصايا لقمان الحكيم**، جريدة الشرق الأوسط، المصدر السابق.

ومن يمعن النظر في الأسباب التي أدت إلى انحراف السلوك عند هؤلاء الأطفال أدرك أنَّ معالجتها متوقفة على أمرين اثنين:

أولهما البدء باتخاذ الإجراءات الوقاية قبل الوقوع، وهذه الإجراءات هي إجراءات تحصينية في مرحلة الطفولة المبكرة شيئاً فشيئاً مع المستوى الفهمي والمرحلة العمرية لهم.

وثانيهما هو العودة إلى القرآن الكريم وتربيتهم على مائدته، في تعزيز وترسيخ الآيات المتعلقة بالتعامل مع الوالدين والأسرة والمجتمع، والآيات المتعلقة بالمحرمات من السرقة والجرائم الأخلاقية، والمخدرات والقذف، والسب والشتم، والتنابز بالألقاب، والنظر المحرم إلى النساء أم إلى الفضائيات والشبكات العنكبوتية، وتعظيم شأن العلم والوالدين والناس، وبيان الآيات التي تناولت أهمية العلم وشرف العلماء ومكانتهم الاجتماعية والدينية، ثم الاستفادة من أوقات فراغهم بالقراءة (وبيان الآيات المتعلقة بها)، واللعب الهادف لتنمية العقل والجسم (وبيان الآيات المتعلقة بتنميتهما)، ولا ننسى أنّ سيدنا يعقوب عليه السلام لم يكن يأذن ليوسف عليه السلام أن يصاحب إخوانه إلاّ بعد عرضهم عليه أنهم سيلعبون معه ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (يوسف: ١٢)، فأذن له باللعب، وغير ذلك الكثير من الآيات الواردة في التربية الشاملة.

٥ الخاتمة ونتائج البحث

- هناك أسباب متعددة تكاتفت وتفاعلت معاً حتى امتلكت القوة الدافعة بالطفل في ممارسة سلوك غير مرغوب فيه ضرورة أنّ الصغار لا يولدون منحرفين، وسلوكهم غير المرغوب فيه ناجم عن مجموعة مركبة ومتداخلة من الظروف والعوامل ساهمت في تشكيله.
- من أهم الأسباب المؤثرة في بناء سلوك غير مرغوب فيه لدى الأطفال تركُ التوجيه اللازم لهم، والتفكك الأسري والصراعات المحتدمة بين والديهم، وعدم وجود قدوة فعلية صالحة أمامه يجسد له المعاني القيمية، ويدربه على السلوك القويم. ومنها تدني مستوى الوعي الديني، فإنَّ القيم الدينية والأخلاقية تشكل درع حماية كبيرة من الانزلاق إلى مستنقع السلوكيات غير السوية، وهناك علاقة مباشرة بين الوعي الديني والسلوك، فكلما ارتفع نصيب الشخص ووعيه من الدين وفهم قيمه؛ ارتفع نصيبه من السلوك الإيجابي، والعكس صحيح. وكذلك البيئة الاجتماعية، فالطفل المنحرف غالباً ما يكون ضحية وسط

اجتماعي فاسد نشأ فيه، ذلك لأنّ الأطفال أكثر انجذاباً إلى التقليد والمحاكاة. ومنها جماعة الأصدقاء والرفاق، فإنَّ الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري.

- الإطار العام لمعالجة هذه السلوكيات غير المرغوب فيها يتمثل في القرآن الكريم، ودراسات ميدانية أجريت من لدن علماء غير مسلمين أكدت تفوق القرآن الكريم في هذه المعالجات على غيرها من طرق العلاج، وأثبتت أنَّ القرآن يحوي الكثير من النصوص التربوية، ويركز بشكل رائع على العلاقات بين البشر، وبين الأم وابنها، وبين الجيران وبين الخصوم، وأنَّ العديد من التحليلات النفسية الحديثة تتلاءم مع نصوص قرآنية كثيرة موجودة منذ مئات السنين، أي قبل الاشتغال بها في علم النفس الحديث، وأنّ الآيات القرآنية تبذل طاقات كبيرة لتحسين مكانة الإنسان وانخراطه في المجتمع الذي ينشط به لتطوير وتقدم الإنسانية وما سورة لقمان إلاّ نموذج لتلك الآيات.
- التربية أمر مطلوب، ولذلك نرى اهتمام القرآن بها، الاهتمام بالتربية العقدية، والتربية السلوكية، والتربية الاجتماعية، ثم التربية التشريعية (الآيات المتعلقة بالأحكام)، وسورة لقمان قد حوت جوانب من تلك التربية الرصينة الضرورية.

٦ المصادر والمراجع

الألباني، محمد ناصر الدين. (١٤١٤هـ). صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري. دار الصديق.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٠٠هـ). صحيح البخاري. تحقيق:محب الدين الخطيب. القاهرة: المكتبة السلفية.

الجندي، محمد الشحات عبد الحميد. (١٩٩٦). جرائم الأحداث في الشريعة الإسلامية مقارنة بقانون الأحداث. القاهرة: دار النهضة العربية، ط٢.

الحافري، شيخة خلفان. (٢٠٠٩/١٤٣٠). جرائم الأحداث الجانحين والمشردين وسبل معالجتها في الفقه الإسلامي. رسالة ماجستير مطبوعة مقدمة إلى كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي.

الحربي، خالد س. (٢٠١١م). تسول الأطفال أسبابه وخصائص ممارسه. المملكة العربية السعودية. مجلة جامعة نايف، عدد٧٧.

حسنون، تماضر ز. (١٩٩٤م). جرائم الأحداث الذكور في الوطن العربي. الرياض: المركز العربي للدراست الأمنية والتدريب.

حسين، عبد الله ج. (١٩٨٤م). ظاهرة جنوح الأحداث في الدول العربية الخليجية. سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، عدد٣.

ريان، وفاء كمال. (٢٠٠٩-٢٠١٠). العوامل الاجتماعية وأثرها في جنوح الأحداث، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بغزة.

سيد قطب. (٢٠٠١). في ظلال القرآن. القاهرة: دار الشروق، ط ٣٠.

الغزالي. محمد محمد. (٢٠٠٢م). إحياء علوم الدين. بيروت: دار الكتب العلمية.

القرداغي، علي محيي الدين . دروس تربوية من خلال وصايا لقمان الحكيم، جريدة الشرق الأوسط، جريدة العرب الدولية، **السبت ٠٢ رجب ١٤٢٤ هـ ٣٠ اغسطس ٢٠٠٣، العدد ٩٠٤١**.

الماوردي. علي بن محمد. (١٩٨٦م). أدب الدنيا والدين. المنصورة: مكتبة الإيمان.

الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري. (١٩٨٦). **أدب الدنيا والدين**. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. المنصورة: مكتبة الإيمان. ط١.

متين، فاطمة. (٢٠٠٧م). جغرافية التسول للنساء والأطفال بمدينة مكة المكرمة. رسالة ماجستير. جامعة أم القرى.

وهدان، أحمد محمد يوسف. (١٩٩١). الحماية الجنائية للأحداث: دراسة في الاتجاهات الحديثة للسياسة الجنائية. رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الحقوق.